الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1143
2023/5/9

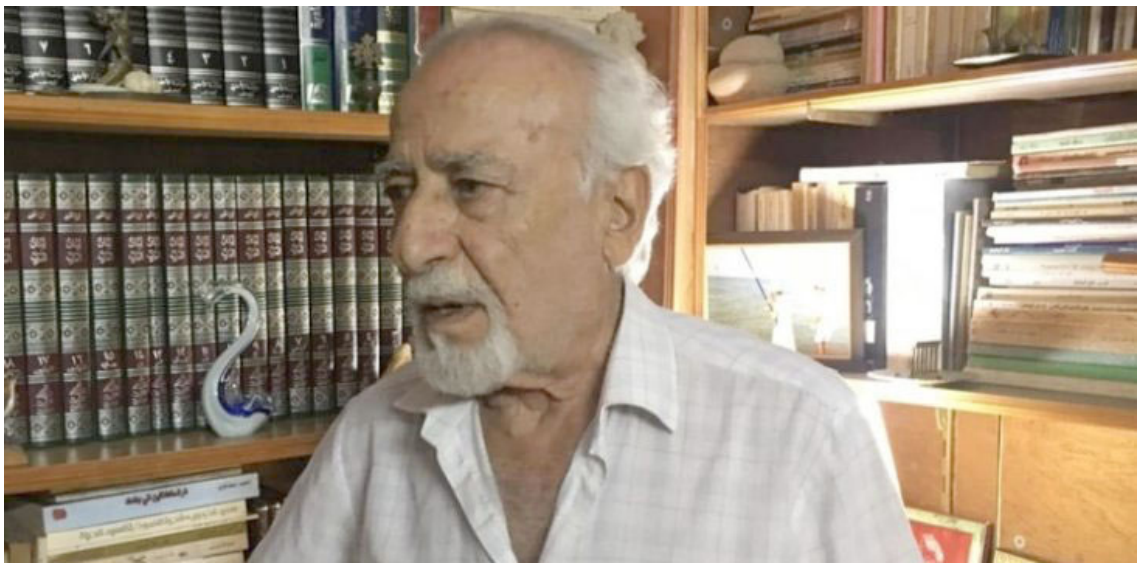

ملف العدد

مواقع التواصل
هل خطفت دور الرواية الحكائي؟ ٢-٢

أول الكلام

تستمر الحكاية ..

▪ ديب علي حسن

الإنسان في أهم تعريفاته أنه كائن ناطق..ولكن هل هو الوحيد القادر على النطق ..؟

بمعنى اللغة والكلام والتفكير نعم هو الوحيد القادر على ذلك أما من حيث الأصوات فهو ليس وحيداً، فمعظم الكائنات تطلق أصواتاً.

بهذا المعنى هو الوحيد القادر على أن يروي حكايته ويدونها وينقلها من جيل لآخر ومن مكان لمكان ويناقش فيها.

وأحد أهم أساليب ذلك السرد الروائي الذي ازدهر في العالم كله وبات حلم كتابة رواية يراود الكثيرين.

كما أن حلم قراءة رواية أيضاً هو شغف يشغل الكثيرين والرواية ليست شغفاً إلا لأنها حياة حافلة بالمشاعر والأحداث والوقائع وتنقل إلينا تجارب مختلفة.

من هنا لن تموت الرواية ولن تذبل مهما استحدثت وسائل السرد..فما كل سرد بقادر على أن ينافس السرد الروائي الذي هو عجينة من لون خاص فيه الكلمة والصورة والمعنى وشغف نقل المعاناة..الرواية كما قال الراحل حنا مينة ديوان العصر ..بل سجل حيواتنا بكل ما فيها والمبدع الحقيقي هو من ينقل تجربته لتكون رواية تلامس شغاف القلوب.

لن تستطيع وسائل القص الحديثة ولاسيما ما يسمونه سرد المحمول أن ينافسها قد يشدنا ويدهشنا للحظات لكنها زائفة وزائلة غير مستمرة.

بل يمكن القول إنها تدفعنا بعد التجربة لأن نعود إلى مدونات السرد الروائي لأننا نحن حبره.

حيدر حيدر
ذات لقاء

في النتاج القصصي
لحيدر حيدر

غذاء العقل والروح

الرواية
ودورها الحكائي

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

رحيل

حيدر حيدر وداعاً

فقدت الأوساط الثقافية العربية واحداً من أبرز الروائيين العرب، وعلماً من أعلام الإبداع الروائي حيدر حيدر الذي ترك إرثاً ثقافياً وإبداعياً ونضالياً لا تمحوه الأيام، وقد نعته وزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب في سورية

محطات

ولد الأديب الراحل سنة ١٩٣٦ في قرية حصين البحر بمحافظة طرطوس، حيث تلقى تعليمه الإبتدائي فيها ثم انتسب إلى معهد المعلمين التربوي في مدينة حلب، حيث واصل دراسته وتخرج في عام ١٩٥٤، ثم انتقل إلى مدينة دمشق حيث بدأ كتابته في الدوريات اليومية والشهرية.

وهو أحد مؤسيسي اتّحاد الكتّاب العرب في دمشق في العام ١٩٦٨، وكان عضواً في مكتبه التنفيذي

نشر مجموعة الومض في العام ١٩٧٠ بين مجموعة من الكتب كانت أولى إصدارات الاتّحاد.

في العام ١٩٧٠ أعير إلى الجزائر مدرّساً في مدينة عنّابة، في الوقت الذي كان يواصل فيه الكتابة والنشر في الدوريّات العربية.

مؤلفاته

حكايا النورس المهاجر (قصص) الطبعة الأولى: ١٩٦٨ وزارة الثقافة السورية-دمشق. الطبعة الثانية: ١٩٧٧ دار الحقائق-بيروت. الطبعة الثالثة: ١٩٩٩ دار ورد-دمشق. أخرجت كفيلم عام ١٩٧٢ ونال عدّة جوائز منها جائزة مهرجان لوكارنو، مهرجان كارلو فيفاري، مهرجان دمشق للسينما الجديدة.

الفهد الطبعة الأولى: ١٩٦٨ وزارة الثقافة السورية-دمشق. الطبعة الثانية: ١٩٧٧ دار ابن رشد-بيروت. الطبعة الثالثة: ١٩٧٨ دار ابن رشد-بيروت. الطبعة الرابعة: ١٩٩١ دار الحصاد-دمشق.

الومض الطبعة الأولى: ١٩٧٠ اتحاد الكتاب العرب-دمشق. الطبعة الثانية: ١٩٧٧ دار الحقائق-بيروت. الطبعة الثالثة: ١٩٩٩ دار ورد-دمشق.

الزمن الموحش (رواية) الطبعة الأولى: ١٩٧٣ دار العودة-بيروت. الطبعة الثانية: ١٩٧٩ المؤسّسة العربية للدراسات والنشر-بيروت. الطبعة الثالثة: ١٩٩١ دار أمواج-بيروت.

الفيضان (قصص) الطبعة الأولى: ١٩٧٥ اتحاد الكتاب الفلسطينيين-بغداد. الطبعة الثانية: ١٩٨٢ المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر-بيروت. الطبعة الثالثة: ١٩٨٦ دار الحوار-اللاذقية-سوريا.

كبوتشي (سيرة حياة ونضال كبوتشي) الطبعة الأولى: ١٩٧٨ دار ابن رشد-بيروت.

الوعول (قصص) الطبعة الأولى: ١٩٧٨ دار ابن رشد-بيروت. الطبعة الثانية: ١٩٨٩ دار الحصاد-دمشق.

التموّجات (قصتان) الطبعة الأولى: ١٩٨٢ المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر-بيروت. الطبعة الثانية: ١٩٨٦ دار الحوار-اللاذقية-سوريا.

وليمة لأعشاب البحر: نشيد الموت (رواية) الطبعة الأولى: ١٩٨٤ قبرص. الطبعة الثانية: ١٩٨٨ دار أمواج-بيروت. الطبعة الثالثة والرابعة: ١٩٩٢ دار أمواج-بيروت. الطبعة الخامسة والسادسة: ١٩٩٧ دار ورد-دمشق.

مرايا النار، فصل الختام (رواية) الطبعة الأولى: ١٩٩٢ دار أمواج-بيروت. الطبعة الثانية: ١٩٩٥ دار بترا-دمشق. الطبعة الثالثة: ١٩٩٨ دار ورد-دمشق.

أوراق المنفى شهادات عن أحوال زماننا (وثائق). الطبعة الأولى: ١٩٩٣ دار أمواج-بيروت. يضمّ العديد من المقالات التي نشرها في مجلات أدبيّة مختلفة (١٩٨٧-١٩٧٤).

غسق الآلهة (قصص) الطبعة الأولى: ١٩٩٥ دار أمواج-بيروت. الطبعة الثانية: ١٩٩٥ دار بترا-دمشق. الطبعة الثالثة: ١٩٩٦ دار ورد-دمشق.

شموس الغجر (رواية) الطبعة الأولى: ١٩٩٧ دار ورد-دمشق. الطبعة الثانية: ١٩٩٨ دار ورد-دمشق.

إصدار

الثقافة اليونانية ظاهرة فريدة في العالم القديم، فأصولها في البر اليوناني ولكنها امتدت على مساحة اشتملت على ايطاليا والبلقان وآسيا الصغرى وجزر المتوسط، ومع فتوح الاسكندر الكبير تهلينت مصر والشام، ووصلت المؤثرات اليونانية إلى أطراف الصين في آسيا الوسطى وإلى وادي السند.. وعندما نشأت روما كمولودٍ يوناني أوصلت المؤثرات اليونانية إلى كل مكان من أصقاع الامبراطورية.

وقد شاركت المناطق ذات التاريخ العريق، مثل سورية ومصر وآسيا الصغرى، أكثر من غيرها في إغناء الثقافة اليونانية، فقد رحل الفينيقي زينون إلى اليونان وأسس في أثينا عقر دار الفكر اليوناني فلسفته الرواقية.. كما أنجبت الأرض السورية عدداً من المفكرين الذين رفدوا الفلسفة اليونانية، مثل داماسكيوس الدمشقي، وفيلو نايدوس اللاوديسي من اللاذقية، وبوزيدونيوس الأفامي من أفاميا.

وفي مصر شهدت الإسكندرية آخر صحوة للفلسفة اليونانية في القرن الثالث الميلادي على يد أفلاطون اليوناني مؤسس الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، التي أينعت ثمارها في سورية على يد عدد من تلامذة أفلاطون، مثل فورفويوس الصوري من صور، ولونجينيوس الحمصي الذي كان مستشاراً للملكة زنوبيا، ويامبليخوس من قنسرين الذي عاش في أفاميا، وكان من أهم أعماله هذا الكتاب الذي تقدمه دار التكوين لقرائها في ترجمة تتمتع بالدقة وجمال الأسلوب.. وفيه يقدم لنا المؤلف السحر لا باعتباره مجموعة من الخزعبلات والممارسات التي لجأ إليها الإنسان في طفولته العقلية، بل باعتباره منظومة معرفية تهدف إلى فهم العالم، أي أنه صفو الفلسفة في مراميها وغاياتها.. وسيجد القارئ عبر فصول الكتاب كيف يتشابك السحر الذي يتجلى بشكل رئيسي في السيمياء أي الكيمياء السحرية، مع الفلسفة ويغدو الاثنان بمثابة وجهين لشاقل معدني واحد.

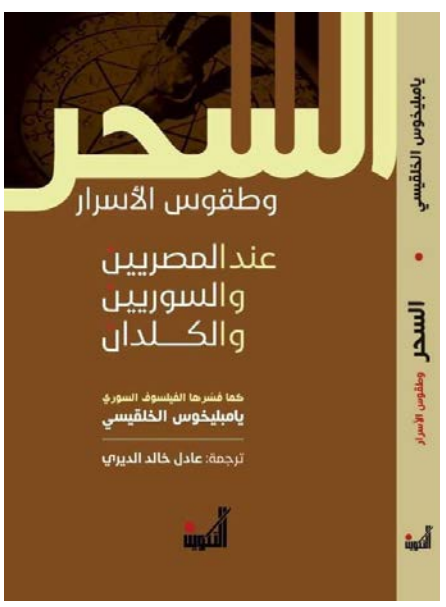

كتاب : السحر وطقوس الأسرار عند المصريين والسوريين والكلدان - تأليف : الفيلسوف السوري يامبليخوس الخلقيسي - ترجمة : عادل خالد الديري

تقديم: فراس السواح

كتاب العدد

حسب الترتيب الهجائي

أيمن مراد

بدر إبراهيم أحمد

حسام غزيل

خلود شحادة

سلام الفاضل

عبد الكريم البليخ

علم عبد اللطيف

غسان كامل ونوس

ياسر صيرفي

وفاء يونس

الرواية من التعريفات إلى المفهومات

سلام الفاضل

للرواية ونقدها مصطلحات خاصة بهما، شأنهما في ذلك شأن الأجناس والأنواع الأدبية والعلمية كلها.. والقارئ العربي يحتاج، شأنه في ذلك شأن ناقد الرواية، إلى معرفة المفهومات؛ أي المعاني والتصورات التي تُعبر عنها المصطلحات المتداولة في النقد الروائي.. ولكن هذا الأمر عسير بالنسبة إلى القارئ والناقد العربيين؛ لأن مصطلحات الرواية ونقدها غريبة غير عربية، وغزيرة متنوعة، وذات مصادر متداخلة، الأمر الذي جعل الإحاطة بها غير يسيرة، بل إنها أضحت عقبة في أثناء تذوّق النقد الروائي وبيان جمالياته.

بدلاً من أن تكون وسيلة من وسائل تيسير الفهم والتذوّق والنقد.. كما أن صلة القارئ العربي بالنص العربي ضعفت لسبب آخر، هو اهتمام النقّاد العرب بالمصطلحات للخروج من القراءة الانطباعية إلى القراءة الموضوعية المنهجية، وحرصهم على الإكثار منها في أثناء تحليل الرواية للدلالة على اتباعهم منهجاً من المناهج النقدية، أو الإيحاء بمعرفتهم المناهج الحديثة... أو غير ذلك. وهذا ما جعل تعريف المصطلحات وتحديد مفهوماتها تحدياً من تحديات النقد الروائي العربي، ومأزقاً من مآزقه في الوقت نفسه.

والكتاب الصادر مؤخراً عن الهيئة العامة السورية للكتاب تحت عنوان (مصطلحات الرواية من التعريفات إلى المفهومات)، تأليف: سمر روحي الفيصل، يعمل على ترسيخ وظيفة النقد الروائي، وتجويد صلة القارئ بنص الرواية العربية، عن طريق تقديم تعريفات لمفهومات المصطلحات الغربية

المتداولة في الرواية العربية ونقدها، وإن تباينت مصادرها وتنوّعت اتجاهاتها وخلفياتها، وذلك عن طريق جمعها بين دفتي كتاب واحد قادر، ما أمكنه ذلك، على التمييز بينها، وتحديد صلاحية بعضها دون البعض الآخر لنقد النص الروائي العربي، والإسهام في تقريب الرواية ومصطلحاتها من الساحة التربوية في المدارس والجامعات، ونقل القارئ من قراءة المتعة والترفيه إلى قراءة الفهم والتذوق والتفسير..

وقد حاول مؤلف الكتاب أثناء تأليف كتابه استدراك النقص والخلط الحاصل بين مصطلحات الرواية ونقدها، ثم عمل على الرجوع إلى روّاد النقد الروائي الأوائل، من أمثال: فورستر ولوبوك وموير، ومن تبعهم أو خالفهم، ابتداءً من الشكلانيين والواقعيين وأنصار النقد الجديد والبنيوية، وانتهاءً بمناصري التلقي والتفكيك المنتمين إلى ما بعد الحداثة، وبعض المنتمين إلى ما بعد بعد الحداثة، كالمنتمين إلى النقد النسوي.. إضافة إلى الإفادة من العاملين العرب في حقل المعجمات الأدبية، كمجدي وهبة، ولطيف زيتوني، وجبور عبد النور... وسواهم.

كما أنه ركّز في ثنايا كتابه على تعريف المفهومات، وقد راعى في ذلك وضوح التعريف، ودقته، وإحاطته بجزئيات المفهوم، وصوغه بلغة مباشرة خالية من العبارات المجازية.. وحرص، في الوقت ذاته، على جمع المصطلحات القريبة جداً من حقل الرواية ونقدها، ففصّل في بعضها؛ لأنها رئيسة في السرد الروائي، كالتعريفات الدالة على مفهومات قراءة النص والشخصية الروائية والرواية التقليدية، والرواية الجديدة والرواية النسوية؛ أو لأن لبعضها أصولاً متقاربة في السرد العربي، كمفهوم الخيال والتخييل مثلاً.. إلى جانب ترتيب المصطلحات في هذا الكتاب ترتيباً ألفبائياً، وتزويده بثلاثة فهارس؛ أولها للمصادر والمراجع، وثانيها للأعلام الأجانب الذين جاء الكتاب على ذكرهم، وثالثها للروائيين العرب ورواياتهم التي جُعلت أمثلة للمصطلحات.

وقد قدم المؤلف ذلك كله في كتاب يقع في ٣٧٥ صفحة استغرق العمل عليه زمناً طويلاً غير متصل، كما جاء على لسان المؤلف في مقدمته، حيث أردف: «وذلك كله لا يعني أن طباعة الكتاب ستريحني من متابعة البحث في مصطلحات الرواية ونقدها؛ لأن العمل في معاجم المصطلحات شائك وإن كان مفيداً»...

قصص قصيرة مرعبة.. من واقع الحياة

أيمن مراد

الأدب وليد لحظته، يسقط على الورق ما يخطر بباله، تارة انعكاس لحالته النفسية، وطوراً هروب من تلك الحالة.

أمين الساطي مثال لتلك الحالة، في مجموعته الأخيرة «قصص قصيرة مرعبة» جسد أفكاره ضمن عدة قصص «زوجة الشيطان» ورغم محدودية كلماتها إلا أنها أوصلت الفكرة بين شعور بالظلم، وأنانيته المفرطة التي تدفع للتحالف مع الشيطان للوصول إلى غايته، فالمرآة تعكس ليس الشكل الخارجي للإنسان إنما هي انعكاس للحالة النفسية والنوازع الشريرة التي تسيطر على صاحبها، مع الشعور بالذنب والاستسلام للمصير الذي نالته «فاندفعت بلا إرادة منها نحو بلكونة غرفتها، تقودها رغبة الانتقام، وتجذبها قوة خفية لا يمكنها تفسيرها لتجد نفسها تطير في الهواء، ساقطة من الطابق السادس إلى الأسفل، باتجاه سطح الطريق» كذلك الأمر في قصته «الجحيم الآن» أفكار كثيرة تلج إلى العقل في حالة من الفوضى النفسية، أما قصة «سأخبر الله عنكم» قالب آخر لقصة بائعة الكبريت، لكن المختلف بينهما إسقاط رمزية الظلم الذي يعيشه الكثيرون بصور متعددة، ولكن بالرائحة نفسها «خلال فترة سقوطه من هذا الارتفاع الذي لا يزيد على ثمانية أمتار، شعر بسعادة كبيرة وهو يودع هذا العالم، الذي لم يعرف فيه إلا التعاسة. وهو الآن ذاهب في طريقه لملاقاة أمه، وسأخبر الله عنهم»، تتكرر الفكرة في«قوارب الموت» و«لعنة الشيطان» جل ما تمناه أن يحصل على لمياء الجميلة بعد موت زوجها الثري، اللعنة التي أراد أن تحقق مبتغاه ارتدت عليه، وحولت حلمه الشيطاني إلى سراب بعد أن «شاهد جثة لمياء ملقاة على الرصيف ملطخة بالدماء، لقد اختل توازنها، وهي تقف على طرف البلكونة، تراقب الناس القادمين لتعزيتها، لا شك أن اللعنة قد أصابتها» أراد الكاتب أن يصور النظرة التشاؤمية ضمن قالب شيطاني، وكيف ارتد الأمر على صاحبه.

أمين الساطي بلغته الجيدة، وأسلوبه السردي السلس، وأفكاره المتكررة أحياناً، ربما أراد أن يوصل رأيه من خلال الفوضى النفسية والعقلية التي تصيب الإنسان بمراحل عمره من شبابه وجذوة عنفوانه إلى أن يصل إلى مرحلة متقدمة من عمره، ويبدو أنه نجح في ذلك.

وأخيراً لقد كان الأدب دائماً مرآة تعكس ليس صورة صاحبها، وإنما نفسه وأناه، ورغم أن المرآة منها المحدب والمقعر إلا أنها تنقل تلك الصورة بأشكال متباينة.

يذكر أن للكاتب أعمالاً سبقت مجموعته «قصص قصيرة مرعبة».

كتاب أوهام حقيقية مجموعة قصصية الطبعة الثانية إصدار دار النشر الإنكليزية أوستن ماكولي ٢٠١٨.

رواية نبوءة على التلفاز نشر خاص عام ٢٠١٩.

كتاب المسوسة مجموعة قصصية إصدار دار النشر توتول عام ٢٠٢٠.

رواية شوارع الغضب إصدار دار النشر توتول عام ٢٠٢١.

انتشار الرواية ونجاحها في ظل مواقع التواصل الاجتماعي

عبد الكريم البليخ

أختلف تماماً عمّا بات يُحكى اليوم، وما يتناوله الكثير من الكتّاب الزملاء عن إخفاق دور الرواية في ظل انتشار مواقع التواصل الاجتماعي، وبصورة خاصة لجهة فيسبوك الذي لا تخلو صفحاته اليومية من انتشار مخيف ومرعب للرواية، ولكتابة السرديات والمدونات بصورة عامة، وهذا ما نلاحظه وصرنا نستشفه ونقرؤه بصورة يومية ما صار يشكل تواتر التقليد والتوسع في هذا الإطار. وكنت قرأت كثيراً من الكتابات المختلفة لكتاب زملاء وأصدقاء في مختلف الأجناس الأدبية ومعرفتهم في صوغ كثير من المواد الصحافية، وغيرها التي تتعلق بالكتابة، وصاغوا منها في نتيجة المطاف حلة جديدة لكتاب تضمن ما سبق أن قاموا بنشره على مواقع التواصل الاجتماعي، ومنهم ما زال وإلى اليوم يتخذ من فيسبوك ترسانة، ووسادة يتكئ عليها من أجل حصاد المزيد من إعجاب القراء على مختلف مشاربهم، ورؤيتهم حيال ما يكتب وباستمرار.

ما يتحفنا به الكتاب في مجال الرواية والقصة وغير ذلك من الاهتمامات الإبداعية صارت تصبّ في تسابق مع الزمن، وتأخذ منحى إضافياً يعود له القارئ ويستمتع وينصت له، وما على الكاتب في نهاية الرحلة إلا أن يستجمع ما سبق أن كتبه وخلال فترة بعيدة قد تطول أشهراً، وفي ختام الرحلة تراه يعود لما سبق أن كتبه، ويضمّنه بالتالي في كتاب يطرح على عامة الناس، وهذا منه كثير..

هذا النشاط اللافت صار يثير الكثير من الرغبة لدى كتابنا، وكما ذكرنا في جميع صنوف الكتاب، وهذا من باب الاستسهال، وهذا الاستسهال مفيد وشائق وسهل، وييسر للكاتب مزاريب كبيرة في السابق كانت تستوقفه كثيراً، ما يمنح الكاتب رؤية إيجابية لجهة تلاقي كثير من الصور التي تعترض مسيرته الإبداعية، ونظرته حيال ما يقوم به من تنسيق للأفكار بدءاً من الحبكة التي رسم من خلالها الكاتب الصورة التي تجعل منه يدلي بدلوه ودون أي صعاب تذكر، وانتهاء بسرد الصور التي تكتمل معها الرواية. وهناك صعاب في تناول المادة المطلوبة، وتجسيدها للقارئ بقالب سهل وسلس في آن معاً، وهذا ما تابعته شخصياً في رواية «خربة الشيخ أحمد» للكاتب والشاعر السوري عيسى الشيخ حسن، وفي «سرديات رمضان»، للكاتب نفسه، وهذان الكتابان سبق أن نشرهما الكاتب على فيسبوك وتابع ما جاء فيهما القرّاء بحب ورغبة شديدين وما زال الكاتب نفسه يخوض التجربة ذاتها باعتبارها تجربة ناجحة ولاقت استحسان القراء على مختلف مستوياتهم، تلك التجربة التي أجدها ناجحة بلا شك، وصارت تأخذ أبعادها الإيجابية بين مختلف مشارب الكتّاب لم لها من دور فاعل في حياة القارئ الذي يتابع ويهتم بما ينشر خطوة بخطوة على مواقع التواصل، وهذا ما يعني نجاح الفكرة.

فالرواية بالتأكيد يظل لها مكانتها وعنوانها الأبرز بعيداً عن مواقع التواصل الاجتماعي، وإذا ما حاولنا أن نطرح السؤال ونعيده بصيغة أخرى هل هناك من دور لمواقع التواصل الاجتماعي في نشر الرواية؟

بالتأكيد إنّ مواقع التواصل يظل لها مساهمتها الفعّالة وغير العادية في انتشار الرواية، فضلاً عن صنوف أنواع الكتابة، ولكن يظل للكتاب طابعه الخاص فيه، ولا يمكن بحال الاستغناء عنه مهما تطور واقع تلك المواقع الاجتماعية التي كان لها دورها في انتعاش دور الرواية وعلى نطاق واسع، ولا سيما أن تلك المواقع ساهمت بشكل مباشر في انتشارها، وتعريف القارئ بها، وهذا ما جعل من القارئ أن يبحث عنها، ويستجمع صورها.

الدور الحكائي للرواية ظل قائماً، ولا يمكن بأي حال فقدانه أو تهميشه، بل إن مواقع التواصل ساهمت في انتشار هذا الدور، وعرّفت القارئ بدور النشر، ومواعيد إقامة معارض الكتب التي ينتظرها ويتابعها جمهورها الغفير، وهذه وحدها أسهمت في اطلاع القارئ عليها ومعرفة أوقاتها والفترة التي تقام فيه، وهذا ما يعني إعلام القارئ عن مواعيدها بحيث تخدّم القارئ بصورة مباشرة. نعود لنؤكد أنّ الرواية في مفهومها اتسع انتشارها بشكل مطرد مع انتشار مواقع التواصل الاجتماعي وأعطاها دوراً كبيراً في التحليق، وأخذت مساحة من المتابعة والاهتمام من القارئ العربي بصورة خاصة، وهذا ما أسس لنجاحها وتفرّدها وخوضها دور متكامل.

إنّ الدور الكبير الذي لعبته مواقع التواصل الاجتماعي في انتشار الرواية أولاً، وحالات كثيرة من صنوف الإبداع المختلفة كالقصة والمقالة والخاطرة والمدوّنة والرواية في صدر هذه الأنواع من هذه الأصناف التي شكلت بعداً آخر في تهيئة الطريق الملائم لهذا الإشباع الذي يعيشه الكاتب، والقارئ على سواء، ما أفسح المجال أمام الكثير من عشاق الإبداع من يدلون بإبداعاتهم ورغباتهم، وإمكاناتهم في سبيل إنجاح هذه الخطوة التي لا أحد ينكر مدى تقدمها ونجاحها وبلورتها نحو تضافر جهود الجميع في تحقيق آمال الراغبين في خلق جهد واضح، وممارسة الدور الكبير للكتّاب في هذا الإطار من أجل إنجاح هذا الدور الذي لعبته مواقع التواصل الاجتماعي في انتشار الرواية بوجه خاص، وصور أكثر يريد من خلال الكتّاب أن يبدؤوا مشوارهم الطويل دون حواجز أو صعاب في حقل الإبداع الذي يخفّف إلى حد ما من سلطة الكاتب الذي يحاول النجاح في هذا المسعى، وعلى الرغم من ذلك فقد نجح كثير من الكتّاب من خلال اللجوء كخطوة أولى على مواقع التواصل الاجتماعي بنشر ما يحلو لهم كبداية انطلاقة نحو تعميم التجربة في حال نجاحها، ونجح فيها كثيرون وأبدعوا واستمروا في هذا المشوار.

النجاح بالتالي سيكون هو حليف المبدعين في ظل انتشار مواقع التواصل الاجتماعي، وأسهمت في نجاحهم وتخفيف العبء عنهم، وتسهيل دورهم في إكمال ما يرغبون فيه في هذا المجال.

الواقع أنّ السرديات أخذت تأخذ مكانها وبقوّة، وتنفرد بهذا الاتساع الذي اتجه إليه عديد من الكتّاب، وصاروا يأخذون بهذا المبدأ الذي يُخفّف عنهم كثير من الضغوط ويهدئ من الدور الذي يلعبونه في مجال إكمال مشوارهم في طرح الكثير من القضايا والمسائل التي صارت تتحدى الواقع الذي نعيشه بمفرداته.. ومن خلال مواقع التواصل الاجتماعي فسحت المجال واسعاً، وساعد في توسّع الكتّاب في انتشار للرواية بصيغتها الحالية، والكتابة المنوعة بصورة عامة التي أسهمت في تزايد عدد القراء، وتواصلهم مع ما يطرحونه من أفكار لاقت استحسان القراء، وهذا ما يدفع بهم إلى قراءة ومتابعة ما ينشر من بوستات في مواقع التواصل الاجتماعي، تتناول تسلسل روايات وقصص ومدونات، واستمر أكثرها في طريق النجاح، ونجح كثير من الكتاب في طرق هذا الباب الذي أبدع فيه كتاب محترفون وهواة الذين يخوضون مسار الكتابة في مشوار الرواية التي نجحت في تقدمها.

يمكن أن نؤكد أنّ الرواية نجحت في هذا الانتشار، وأخذت مكانتها بصورة أفضل في ظل مواقع التواصل الاجتماعي.

نستطيع أن نقول إنّ الرواية نجحت في هذا المشوار، ولم تفقد دورها الحكائي، بل أسهمت في دور متفرد في تعميق هذا الدور، ونجحت نجاحاً باهراً في انتشارها وتوسعها، ما يعني أنّها حافظت على مكانتها، ودورها في تسهيل الطريق أمام القارئ الذي صار يتقبلها بسهولة، ويتابع ما ينشر منها، وما تقوم عليه دور النشر في تسابق عجلة دورانها في العمل على نشر الكثير من الأعمال التي صارت تعجّ بها المكتبات، وحتى شوارع التسوّق!

الرواية ودورها الحكائي

خلود حكمت شحادة

هل انتهى دور الرواية الحكائي في ظل انتشار وسائل التواصل الاجتماعي وصفحات الإنترنت التي تقدم رواياتها بطرق مختلفة؟! وهل هناك من حافظ على عادة القراءة عبر صفحات الكتب والتمعن في الحروف والسطور؟

يبدو انتشار الرواية الحكائية واضحاً على نطاق واسع في المجتمع خاصة بين المراهقين الإناث منهم اللواتي يستمتعن بمشاهدتها عبر مواقع التواصل الاجتماعي وليس قراءتها، بينما نلاحظ الفرق عند طلاب الجامعات حيث لاتزال فئة منهم تتابع الأدب والروايات وأخص بذلك طلاب قسم اللغة العربية ممن يحاولون الاندماج في الأوساط الأدبية والثقافية.

فالرواية في العقود الأخيرة غدت متقدمة على غيرها والكم الروائي العربي في تزايد وتنوع، والروائيون يزداد عددهم، لكن من دون أن يظهر ما يدل على سمة الرواية العربية وتميزها، فالخصوصيات كانت موجودة وواضحة في الرواية حيث أن الحكائية العربية ليست ميداناً عارضاً، أو موضوعاً للتجاوز الحتمي نحو الأشكال والصياغات الحديثة حتى وإن بدت سهلة وممكنة بالتدريب أو الموهبة.

ومن الجدير بالذكر أن قرناً من الزمن أو أكثر مضى على دخول الرواية إلى الثقافة العربية وكان لها دور كبير في تنمية مهارات القراءة والكتابة عبر الأجيال، ولكن دخولها في صفحات الإنترنت جعلت أوراقها وحبرها لفئة اعتادت عليها وقلة اليوم من يبحثون عن رواية مكتوبة في صفحات حيث يجد الكثيرون مشاهدة رواية في مسلسل من حلقات ممتعة أكثر من قراءتها

وبالعودة إلى موضوعنا الأساسي وهو دور الرواية الحكائي نجدها بين الأوساط الاجتماعية والفئات العمرية على اختلافها منتشرة ويتناولها الجميع ولكن بطرق وأشكال مختلفة، منهم من يقرأ عبر صفحات مطبوعة باستمتاع كبير ويعيش مع شخصيات الرواية في خياله وربما يسقط أحداثها بطريقته ليفسر الأحداث ويحلل وينتقد وغالباً هؤلاء الأشخاص يعيدون قراءة ذات الرواية مرات ومرات وتراهم يشجعون غيرهم على القراءة والاستمتاع بالأحداث في سطور.

من جانب آخر يلجأ البعض لمشاهدة أحداث رواية ما عبر حلقات مسلسل أو فيديوهات سريعة تروي الأحداث متمثلة في شخصيات حقيقية أو كرتونية وهذا النوع يتابعه المراهقون بكثرة ونذكر قبل عصر الإنترنت احتلت روايات عبير لدى جيل المراهقين حينها حيزاً كبيراً من أوقاتهم وتبادلوها فيما بينهم وكذلك الزير سالم تلقاها كثيرون من الحكواتي واليوم يشاهدونها في مسلسل وتتمثل شخصياتها أبطال ارتسمت صورتهم بشخصية ما وارتبطت بها، إضافة إلى ذلك اختفت نوعاً ما حكايا الأمهات والجدات من حياة الأطفال حيث كانت يوماً ما هادفة وتحمل قيماً سامية وأهدافاً تربوية تربت عليها أجيال وأجيال وتلك القصص والروايات ذاتها تعاد اليوم بشخصيات الإنمي والكرتون ويتابعها الكبار قبل الصغار ولكن للأسف دون أن تحقق ولو جزءاً بسيطاً مما كانت في السابق عندما كانت مقروءة أو محكية فالألوان والحركات المصورة تخفي طابع الرواية وأحياناً جزءاً من مضمونها لتضفي على ذهن المتلقي هدفاً وهو المتابعة وكسب المشاهدات فقط وكثير من الأهالي لم يعد يهتم بنوعية ما يتابع أبناؤهم وللأسف دون غاية إلا أن يجد طفلهم ما يلهيه ظناً منهم أنه ربما يحصل على وقت تسلية فيه فائدة ولو بسيطة وبالمقابل لو أن الأسرة اهتمت بكتاب مقروء لحققت ثقافة أدبية وتربوية ومخزوناً لغوياً مهماً وكانت الفائدة أكبر لذلك علينا اليوم إعادة إحياء القراءة وتشجيع الرواية الحكائية عم طريق القراءة والدخول في تفاصيل الأحداث وتخيل الشخصيات لنفتح مجالاً للإبداع من جديد ولخلق جيل قارئ قادر على الصياغة ولحماية لغتنا العربية وتاريخ أبجديتنا وتراث أدبائنا فنحن أمة كتبت الشعر والرواية وتميزت وأبدعت في هذا المجال عبر العصور ومن الواجب حمايتها من دخلاء صفحات الإنترنت واللعب على مفردات لغتنا وهويتنا العربية.

وتر الكلام

اقتران عنيف...!

سعاد زاهر

عندما نتابع فيلماً قديماً لفاتن حمامة، أو عمر الشريف، أو رشدي أباظة.... تأخذك جرعة الرومانسية والحالة الإنسانية الطاغية على سينما أيام زمان، وحتى على مسلسلاتها التي تتسم بالبساطة واهتمامها بتقديم حالة فنية راقية.

منذ عدة سنوات باتت الدراما صنواً للإثارة، وكأنه لزام عليها أن تقترن به ولم يعد يخلو موسم درامي رمضاني من عدد كبير من المسلسلات التي تعتمد على الأكشن، بحيث يطغى على ما عداه ويتم الترويج للمسلسلات التي تعتنق هذا المبدأ بطريقة مغايرة كما عشنا مع مسلسل الهيبة في مواسم مضت، ومع مسلسل «الزند» ومسلسل وأخيراً الذي ما إن انتهى عرضه، حتى أعادته محطة أخرى مباشرة.

إن جرعة الأكشن مطلوبة لضمان المنافسة بين المحطات التلفزيونية والمسلسلات ومؤخراً مع منصات العرض الدرامية، حيث يلجأ صناع الدراما إلى استخدامه بهدف التشويق وجذب المشاهد طوال فترة المسلسل، والتي تمتد في شهر رمضان حتى ٣٠ حلقة، الأمر الذي يحتاج دائماً إلى جرعة أكشن مستمر.

حتى إننا نرى أن الممثلات ورغم جماهيريتهن الكبيرة يشتغلن في دراما الأكشن، على غرار الممثلات الغربيات مثل سكارليت جوهانسون وتشارليز ثيرون وجينيفر لورانس...

الممثل أو الممثلة غالباً يجدون فرصتهم الكبرى في أمثال الأدوار التي تعتمد على الأكشن...لأنهم عبرها يكسرون نمطية أدوارهم وينوعون فيها، ولكن الملاحظ أن أعمال «الأكشن» العربية بشكل عام تتعرض للانتقادات بين حين وآخر، وتوصف في بعض الأوقات بالسذاجة والمبالغة...

إن أهم مشكلة يعاني منها الأكشن الدرامي حين يتحول إلى عنف تتناثر الدماء طوال الوقت، كما نرى في العديد من الأعمال، رغم عدم وجود مسوغ درامي حينها يصبح الأمر فبركة، لها تداعيات وآثار سلبية على المشاهد.

حصن الكُتّاب

علم عبد اللطيف

الكتابة عموماً. أنتجتها مرحلة تطور إنساني..فكرياً وابداعياً. وبعد ارتباط التطور الفكري بمنجزات العلم. بدا أن الأدب بما هو شكل من أشكال الفكر. يجد طريقه في سلم التطور. من حيث تنهيج ونمذجة الإنتاج الإبداعي.

وكانت الرواية في العالم. ثمرة أنضجها تفاعل وجدل الأجناس الأدبية. فتخطّت الرواية القص. بمحدودية أدواته. وبالنسبة للزمن الحكائي المتوارث. فكانت الرواية أكثر من نظرة سريعة للعالم.

وحقيقة أن المرحلة التي أنتجت الرواية. كما أنتجت غيرها من أشكال الأدب والفن. حملت الرواية إلى الصف الأول في الاهتمام والتقدير. لدى القراء والنقاد. وبقيت الرواية تتمدد وتتسع رؤاها. بتطوير الشكل وأساليب السرد. وفي عموم محمولات الفكر. ولم تعد استشرافاً للعالم وقضاياه فقط. بل أصبحت صوت العالم. بحيث قال البعض:إن مدى تطور الشعوب يقاس بما تنتجه من روايات.

الآن. حين تعصف أمواج التغيير في جميع مستويات المعرفة. ويتم اختزال اللغات وتشفيرها. ويعم الافتراض في التواصل العالم. تبدو الرواية بالطبع من الصخور التي ترتطم بها تلك الأمواج. والمسألة مرتبطة بديمومة الطقس المريب من عدمها على مستوى العالم. فما تأصل واستقر. لا يزول مع موج موسمي أو طارئ.

في منطقتنا وبلدنا تحديداً..سنرى أن تراجع الإنتاج الروائي.متعلق بتراجعات عامة في مسائل الابداع. وليس في طبيعتها وبنيتها كرواية. مع ذلك. نلاحظ فعلاً صمود الرواية في وجه غلاء الكتب. وعدم قدرة الكتّاب على طبع منتجهم. ومع عوامل أخرى منها التقييد الفكري وأشكال الرقابة.

في احصائية سريعة. وجد البعض أن الرواية ما زالت هي حصن الكتاب وملجؤهم دون بقية الأجناس الأدبية. وتتابع ظهورها الباذخ في معارض الكتب. وفي المسابقات الأدبية. وتبدو انها ما زالت هي الأنسب.والأقدر على تمثل الحالة الابداعية.في العالم. وفي منطقتنا العربية. وفي سورية تحديداً. وتتابع أسماء الروائيين السوريين التألق والبروز في الساحة الأدبية. والسبب كما نرى..هو في النموذج متين البناء الذي ظهرت فيه الرواية. وفي الاثر والتفاعل الذي تنتجه لدى القراء والنقاد. وستكون آخر صخور شاطئ تضربه أمواج وأنواء فصول شتاء الأدب. كما نرجو.. وكما نرى.

غذاء العقل والروح

د. ياسر صَيرفي

لاشكّ في أنّنا في سباقنا مع الزّمن، وتماشيًا مع ما يحقّقُه الإنسانُ يوماً إثرَ يومٍ من تقدُّمٍ في العلوم والتكنولوجيا نعاني من أخطارٍ وتحدّياتٍ تمسُّ القيمَ القديمةَ التي تربّينا عليها، ولعلّ أشدّ تلك التحدّياتِ «غَزْوُ الكتابِ الإلكترونيّ» فقد باتَ بديلاً من الكتابَ الورقيّ؛ ولا سيّما أنّ الجيلَ الذي تربّى على يدِ المارِدِ الرّقميّ باتَ يجزمُ بتفوُّقِ الكتبِ الإلكترونيّةِ على نظيرتِها الورقيّةِ، ونجزمُ أنّ هذه النظرةَ مجافيةٌ للحقيقةِ وجوهرِها، «فنحنُ إذْ نرسمُ الوردةَ نعجزُ عن استشعارِ عبقِها»، فالكتابُ وردةُ العصرِ سالفِه وحاضرِه ومستقبلِه، وإذا خُضْنا في مضمارِ التفاضلِ بينَ الكتابِ الورقيّ ونظيرِه الإلكترونيّ نجدُ الفوارقَ جَمّةً، وأهمُّها سهولةُ التركيزِ، وشدّةُ الذاكرةِ التي ترافقُ قراءةَ الكتابِ الذي هو خيرُ جليسٍ، فهو يمنحُنا الصبرَ والهدوءَ وصفاءَ الذّهنِ، وهي مفاتيحُ الفهمِ والإتقانِ لأيّ قارئٍ، فضلاً عن كونه يجعلُنا في إحاطةٍ كاملةٍ لِما يُقرأ، فالعينُ ترقبُ الكتابَ واليدُ تحتويه، وهو خيرُ مَن يصونُ حقوقَ التأليفِ ودورَ النشرِ بعيداً عمّا يصيبُها من تشويهٍ وضياعٍ، وهو المرجعُ الذي لا يندثرُ، ولا سيّما إذا اقتنيناه في مكتبتِنا الخاصّةِ، فوجوده المادّيُّ يستحضرُ معَه بالضرورةِ الإحاطةَ بمحتواه وفوائدِه المعنويّةِ بعيداً عن سلطةِ الكهرباءِ وانقطاعِ الشّابكةِ اللذين يفرضان ذاتَهما فيما يخصُّ الكتبَ الإلكترونيّةَ.

وإن كانَ الكتابُ الإلكترونيُّ قد فرضَ نفسَه في ساحاتِ القراءةِ والأبحاثِ، إلّا أنّ النّهَمَ للأصالةِ يفرضُ نفسَه ليعودَ بالنفسِ البشريّةِ إلى ما تتوقُ إليه من عُكوفٍ على الكتابِ الورقيّ، الذي يُعدُّ إرثاً وتقليداً وثقافةً ومِحراباً حقيقيّاً للعلمِ، فعلينا أن نربّيَ أبناءَنا على تغذيةِ العقولِ عن طريقِ الكتبِ الورقيّةِ التي ينبغي أن تملأَ مكتباتِنا البيتيّةَ شكلاً وعملاً، فمَنْ شبّ على شيءٍ شابَ عليه، وبذلك نقضي على الخُمولِ والعقليّةِ الرُّوبوتيّةِ التي أصابَتْ كثيراً من العقولِ في بحثِها عن المعلومةِ الجاهزةِ بعيداً عن متعةِ العملِ اليدويّ، وهنا صرخةُ استجداءٍ لأصحابِ القرارِ والمسؤوليةِ في أن يدعموا الكتابَ بعيداً عن أيّ ظرفٍ، وعندَها سيعودُ بريقه بما يحملُه للذهنِ من صفاءٍ ونقاء.

عن الدراما

حسام غزيل

تحكي الأسطورة أنه مع بلوغ النسر لعامه الأربعين يعاني من مشكلات كثيرة تكاد تقضي على وجوده، تستطيل مخالبه بشكل يعيق إمساكه بالفريسة جيداً منقاره ينثني أيضاً بشكل كبير يؤثر على طريقة تناوله للطعام، ريشه يستطيل أيضاً ويعيق وزنه قدرته على الطيران، كل هذا يستوجب منه القيام برحلة تستمر ل١٥٠ يوماً تعيد جذوة حياته لبدايتها أو تقضي عليه، يحلق من خلالها عالياً لقمة أعلى الجبال ويعمد لنتف ريشه الذي أصبح يثقله وكسر منقاره ومخالبه بضربها بالحجارة وأن ينتظر في مكانه لمدة حتى يعود ريشه للنمو ويعاود قدرته على التقاط الطعام والصيد.

وكل هذه التفاصيل التي تعيد بعث صورته مجدداً تدمير كل الصورة السابقة بكل ماحوتها وإعادة خلقها من جديد، بالفن تكون هناك لحظة خيار عليك فيها إما أن تكمل كما أنت أو أن تخوض رحلة النسر الأميركي وفي موسمنا لهذا العام خاض بعض فنانينا هذه التجربة أيمن زيدان بشخصية أبو نذير والتحول من شدة البطش والشر إلى الضعف وصورته التي قد يخيف الكثير من النجوم ظهورهم من خلالها، و فراس ابراهيم بشخصية صياح في حارة القبة هذا الشر والحقد المغرق بالكره والخبث ليطرح اسمه بصورة مغايرة عن كل ماقدمه سابقاً، والفنان الذي رحل عن عالمنا قريباً محمد قنوع بشخصية شومان بالعربجي محاولة استكشاف أبعاد للأداء بعيداً عن الشكل والصورة المنطبعة بذهنية المشاهد، يضاف للقائمة تخلي بعض الفنانات عن المكياج لصالح الشخصية والظهور معتمدات على الأداء والأداء وحده، أمل عرفة بتنوع شخصياتها لهذا العام ورهانها الأكبر على تحقيق الاختلاف بين ماجسدته من شخصيات، نسرين الحكيم التي عادت مقتنصة الفرصة لتثبت أن أدوات الممثلة كثيرة وتستطيع اللعب عليها والتعبير من خلالها بتجرد عن أي وقع تجميلي يمكن الاعتماد عليه..

تجارب قوية ومختلفة لهذا الموسم احتملت الكثير من البحث والتجريب حتى ما قدمه عباس النوري بشكل مغاير لصورة الشيخ النمطية من خلال مسلسل مربى العز، كل هذا التجريب والبحث ومحاولة التجديد بالأداء والمضمون يحسب لدراما هذا العام ويلعب دوراً أهم ويفتح مساحات للمنافسة وإعادة بناء القصة والشخصيات بشكل يحقق المتعة مستندين على الفن وحده لا على القضايا الهجينة والطرح الرديء تحت مصطلح (هيك بدو السوق).

تجارب راقت للمشاهد وحظيت باستحسانه وفيه مايبشر بالخير للمواسم القادمة إذا استعدنا مجدداً رغبة صناعة الفن بحرفية عالية وإتقان خالص ينصف الموهبة.

حكاية النسر أسطورة

لكن حكاية الإنسان حقيقة واقعة لامحالة وضرورة التغيير هي سنة الطبيعة لمكون أقدر على الاستمرار والتطور في كل سبل الحياة..لننجز فن الوجود كما يستحق.

زاوية حادة..

نوارس الرحيل

د.ح

برحيل آخر جيل الروائيين العمالقة في سورية تفقد الساحة الإبداعية ركنا من أركانها..

صحيح أن الإبداع باق والجسد راحل ولكن مرارة الفراق تترك ندوباً في الذاكرة وتفتح نافورة من الأسئلة الحائرة في هذا الزمن الموحش.

لماذا ابتعدنا عن جماليات الإبداع الحقيقي وكيف استطاع المزيف أن يحتل مكاناً ما ليس له.

في جعبة الراحل حيدر حيدر من الأعمال الروائية والمجموعات القصصية ما يجعله في المرتبة الأولى عربياً ..فهو واحد من صناع المشهد الروائي العربي بكل جمالياته وخصبه.

تجربته الروائية بنت الحياة وهي من تجربة المرارة والنضال ..في كل ما كتبه وأبدعه..

الحياة الحرة الكريمة ونبل الإنسان هو الغاية.

انحاز للعمل قبل الكتابة استلهم الواقع وأعاد إنتاجه إبداعاً لا يغيب ..

أعماله الروائية أثارت جدلاً ونقاشاً كبيرين لاسيما وليمة لأعشاب البحر ..وغيرها من الأعمال.

ويمكن القول أن الفهد كعمل إبداعي استلهم وقائع نضال (أبو علي شاهين) سيبقى الأكثر رسوخاً في الذاكرة بغض النظر عن الأعمال الأخرى ما بين قصص وروايات تجاوز فيها (الفهد).

حيدر حيدر نوارس الإبداع تطوي الجسد لكنها تحلق بحبر باق فيما أنجزه وأبدعه من أدب خالد ..باق لأنه ابن الحياة والحياة مستمرة تهب الجمال بما يقدمه مبدعونا.

في النتاج القصصي لحيدر حيدر

غسان كامل ونوس

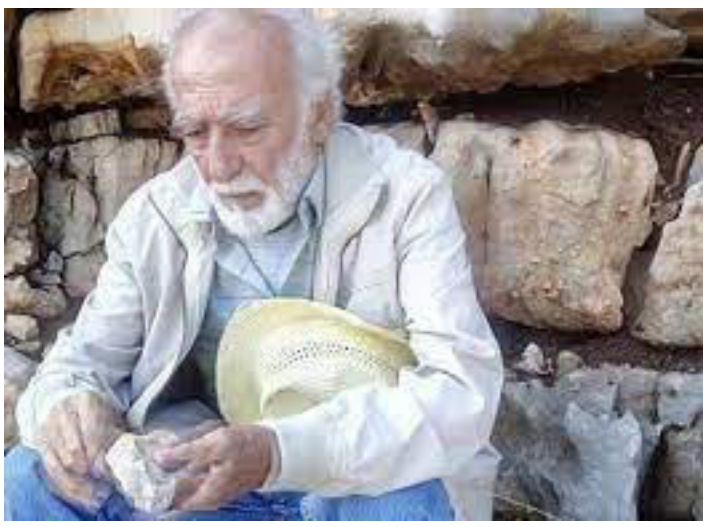

ليس التخويض في عوالم إبداع حيدر حيدر الأدبي بشكل عام، والقصصي منه خصوصاً، أمراً يسيراً، وليس الهروب من إغواء هذا التخويض وتعرّفه عن تقرّب وتمثّله أكثر يسراً؛ فحيدر حيدر ليس أديباً عادياً، أو كاتباً راهناً، ولا مبدعاً عابراً؛ إنه راسخ رسوخ صراع الكائن المعذب من أجل حياة أقل مرارة، وباق ما بقي النبض يضخّ السائل الأنقى، كي يخلّص الضفاف والقيعان من أدران الركود، ومخلفات الجريان..

وعلى الرغم من كثافة الغصات، وتكسُّر النصال على النصال، فإن هذا الكائن الثريّ العصيّ/حيدر يوالي انتثاره مضيئاً أركاناً موصدة، ومكتشفاً كنوزاً مرصودة لمن يغامر أكثر، يفكّر ويحلم ويرهص، ومعلناً عن حزم خضراء أخرى موقَدةٍ باحتراق لم يعد مكتوماً..!

ولعل هذا المورد الذي لا يفتقد الزيت، ولا يتردد في الإشعاع، مكافأةٌ لنا نحن معاصريه؛ فهل نستوعب ذلك ونقدره، هل نستحق؟!

لكأن ذاك الكبد الذي يولم منه لأبناء جلدته، ليتنبّهوا، ويستفيقوا، وقد طمى الخطب وغاصت الركب، لا ينضب مداده، ولا يهِن، سرٌّ آخر من أسرار هذا المبدع الذي أشرع رؤاه وأحلامه ومعارفه، ومضى لتحقيقها في الشعاب الوعرة، والتضاريس الجاهلية!

خطا، وأبحر، أسرى، وبكّر.. ولم يكتفِ بالكَلِم والقلم، وما تخفّى وراء شعار، أو تخوّف من البوح، أو راوغ بالتسويف، أو تفنّن في التسويغ؛ فقد سبق الكلامَ الإقدامُ، وكان الطّلقُ على وقع الإطلاق وأصداء الفعل، فجاء الخَلقُ حسناً، والجنى وفيراً، والخصب في ازدياد..

كتب حيدر عن ابن قريته ومنطقته وبلده، وكتب عن أبناء العروبة المقاومين لكل أصناف الإذلال ومشاهد الخيبة والخذلان، ومظاهر الخيانة في الحرب الأهلية اللبنانية، والحروب الأخرى المهزومة في مختلف الجبهات داخلاً وخارجاً، ماضياً وحاضراً، وكتب للإنسان في أي مكان من هذا العالم القلق؛ ولم ييئس من الكتابة، ولا من الفوز القادم، رغم المرارة التي جبلت قوله ذات زمن بعيد:

«آه آه متى تستيقظ هذه النائمة الجميلة؟!» (الفيضان ص ١٠٢)

في قراءة إبداع حيدر تُفتقَد الجهات، وتدور إبرة البوصلة بلا توقف؛ لأن في كل سمت ما يغني، وفي كل امتداد ما يسمن، وليس من الممكن الإمساك الواثق بالهيكل المتخلّق، وليس من محاولة مجانية، ولا من ملمح مزيف؛ وتحس، وأنت في محرابه، كأنما لدى حيدر جبلّة خلق معرفية، يقبض منها ما يَشاء ليشكل ما يُشاء: علوم، وعناصر، وخبرات، وتجارب، وحكايا.. تتجمع في مجمرة تقلّب الطينَ فيها أدوات سحرية حتى ينضج؛ في كل قبضة شيء من الحياة يلخصها، وقدر من التفاصيل يعرّفها، وخيوط من دخان تشير إلى أن هناك حريقاً لا ينطفئ؛ إنها متعضيات إبداعية في طور مختلف، يذكّر بالبدايات الكونية؛ حيث الغرين الدّبِق والبرق والمطر، ويعرض العصر الحاضر الذي يتخلف؛ حيث: «.. في هذا الوقت كانت المدينة تشهد عبر طقوس احتفالاتها أفواجاً من المهرجين والنواحين والخطباء والقتلة والطغاة والخونة والحمقى والقاصرين والكذبة.» (الوعول: قصة حالة حصار- ص ٤٤)، وينبئ بالمصير الذي ليس التدمير الذاتي سوى بعض تجلياته؛ كائنات تستنبط أشكال تمظهرها وتهيؤاتها من كياناتها وفق محمولاتها وظروفها ونفثاتها، وتختار أساليب تنفسها من نَفَسِها، وعليك التكيّف معها، لاستكناه بعض كنوزها، رغم أنها ليست غريبة، تحس ذلك، وليست طارئة ولا منبتّة، متأكد من ذلك، لأن لك فيها إيقاعَ نبض وصدى وجع وطيفَ حلم، وليست بلا هوية أو انتماء. لعلك مشارك فيها دون أن تدري؛ ذلك هو أحد أسرار هذا الإبداع الذي يعزّ على من ليس لديه موهبة حيدر، وقدراته، وصبره، وتمرده، وحريته، وصمته، ومغامراته.. لا همّ إن قَلّت الصفحات أو تكاثرت؛ ولا قلق من تفرع المقاطع واختلاف حجومها؛ ولا بأس في توزع العنوانات كلمات أو عبارات، أو غيابها؛ ولا مشكلة في استقطاب الشوارد، تنافرت أو تجاذبت، ولا في عرض الانفعالات، تشوهت أو استقامت، ولا في بثّ الأحاسيس رضية أو لائمة أو متهّمة؛ ولا بدّ من موقف إنساني وطني قومي مقاوم، ولا مناص من تحمل التبعات والعواقب؛ وما أكثر من يقيمون الحدّ، أو يحاولون، يبحثون عن الأسباب، وما أقل ما يخيبون! لكن من يجني الثمار نحن قرّاءه، والأجيال القادمة، وما يشفع له الإبداع وسموّ الغاية والتوق إلى الدوام الكريم.

وما يلفتك في نتاج حيدر/ معظمه من أجل الدقة/ أنه يستطرد ويعطف ويقرر.. حتى لتظن أنه بات مكشوفاً ومألوفاً، لكنه سرعان ما يتكاثف ويتكوّر ويتغلّق، حتى لتظن أن أمامك مغاور إسطورية تحتاج إلى شيفرات لولوجها، لكن كلمات السرّ مبثوثة فيها، وعلى صيادها أن يكون في مستوى مقامها.

* لا يحس القارئ الجدي لنصوص حيدر القصصية بالحرج أو التردد في القول: إن هذه النصوص تتأبّى على التصنيف أو التجنيس، ويمكن إطلاق توصيف /النثر الإيقاعي/ على معظمها، ولا يقتصر هذا التوصيف على السرد وحده؛ بل يشمل الوصف والحوار.. أيضاً؛ إذ تتداخل عناصر الكتابة وتتشابك، وتتناثر انزياحات واستنتاجات واستئنافات وتحورات وتساؤلات.. والحال هذه تضع أمر التوصيفات النقدية على المحك؛ بل في موقف صعب.

«كانت امرأة مصاغة من صخور البازلت المحروقة بالشموس الاستوائية، لكن حضورها كان أرقّ من العشب في أوقات الصيف السعيدة، لا الرجل كان مبالياً متى تأتي إليه، ولا هي تبالي متى تغادر. بينهما بدت الحالة كأنها استجابة للصرخة التي يطلقها دم الجسد وهو يتفجر». (غسق الآلهة: قصة غسق الآلهة- ص ٥٢)

في هذا المقطع أيضاً تناص إيقاعي مع القرآن الكيم».. لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار..»

وإذا كانت بحور الشعر قد استنبطت مما كان قد روي من قصائد، وتردد من أبيات ومقطوعات، فلماذا لا يعكف النقاد على استنهاض توصيفات جديدة من هذا النتاج الثر والدفق النشوان والإشعاع المثير؟! هل حدث ذلك؟! ومن دون انتظار الجواب، أقول: إن هذا النتاج المميز إبداع خالد، لأنه ليس مرتهناً لحال أو موقف أو ظرف أو بلد أو جيل..

* القص عند حيدر إيغال في مكان ما/ عالم ما/ غابة ما/ بحر ما/ جسد ما.. ثم التحرك داخله باتجاهات مختلفة لرصد المشاهد، ومراقبة العناصر، ومحاورة الأشياء والكائنات واستنطاقها لتحليل ما يريد، أو الإدلاء بما يفيد، من دون تحديد الغاية التي يمكن التكهن بها وتفهمها بالتبصّر والتفكّر والتفهّم والتمثّل؛ وحين تكون اللوحة قد امتلأت، أو قاربت على الإشباع من داخلها أو عبر الأطراف أو الأعماق أو المسالك المبتدعة، يكون الكاتب قد أدخلنا في المعمعة، أو استدرجنا إلى الحالة بلا استئذان، لندين أو لنتوفّز، أو نغيّر، أو نسكن ونتخامد، حسب ما تكون قدراتنا، ووفق منسوب الكرامة ودرجة الرؤيا في آفاقنا التي تبدو مغبرّة!

«سدى كان العالم الآن، خرب، يتراءى مجرات تتساقط شهبها في الصحارى. من هناك كانت تنتشر رائحة الموت والدم؛ حيث سيتحول جنون العظمة إلى نيران من السطوة البربرية، تجتاح فيما بعد كإعصار أعمى سهب الروح في هزيع الزمن الأخير». (غسق الآلهة: قصة طائر الموت- ص ٤٦).

ويمكن التوصل إلى أن هناك معادلة يصح إيرادها، تتعلق بإبداع حيدر حيدر، تترامح بين إغواء الكتابة وإغوات أخرى:

الكتابة/الأنوثة/الخلق أو إعادة الخَلق/المواجهة/الصيد/المصير.

* إن نصوص حيدر كالشلال المندفع من علٍ، تتوزع أمواهه عبر العتبات: الحادة والعريضة والمتطاولة والمخفية والغائرة والنافرة.. والتي تتدفق عبرها في تيارات أو خيوط أو قطرات.. ويحتم هذا على من يريد التشبع منها أن يقاربها غير هيّاب من البلل الموقظ والرطوبة المنعشة!

«يبدو أن ذاكرتي لا تعمل كما ينبغي. صوت موسيقا بعيدة تشبه الأنين تصدر من الطرف الآخر للذاكرة: شيء ما يموت في مكان بعيد» (الفيضان- قصة الزوغان ص٢٧).

* ويمكن أن نضيف إلى ما ذكرنا بعض الخصائص التي تميز إبداع حيدر، غير مفرقين بين المضمون والشكل، لأن نصوص كاتبنا المميز أمثلة عن تواشج الموضوع بتشكله، ليقدم إبداعاً حقيقياً.

* التفلّت من التحديد والتلخيص؛ فهي كتابات تُتَمثّل، أو تؤخذ بمجمل الحواس، لا تعوّض فيها صفحة عن صفحة، ولا مقطع يحلّ مكان آخر، ولا نص يبدو نافلاً؛ الجزء لا يعوض عن الكل، والكل لا يقتصر على كونه مجموع الأجزاء، على الرغم من أن القصص/النصوص تبدو متشابهة، وذات موضوعات متلامحة؛ لكنها تتقارب وتفترق، تقترب وتبتعد، يتعذر القبض عليها، ولا تكاد تغيب عن المدركات؛ لأن في كل منها أصداء متمايزة الإيقاع، تزيد اللوحة غنى والمشهد ثراء وجِدّة وتفرداً، والوليمة طزاجة ونكهة ومذاقاً..

وتبدو النصوص كأسراب الطيور المهاجرة، أو كأسراب الأسماك، يختلف تشكّل طيرانها أو إبحارها كثافة وعمقاً وهيكلاً حسب التضاريس والأنواء، مع أن عناصرها معروفة، وأفرادها متشابهون.

* الجرأة والتحرر من إشكاليات القداسة والحياء والترفع المفتعل؛ فتطرح القضايا كما تتراءى على شاشة الخيال الوثاب أو الحلم المغامر، وكما تتخاطر الرؤى في آفاقه المتشاسعة، وكما تشير المنبهات الحسية الواعية منها وغير الواعية. وهذا ليس غريباً؛ أليست مشروعيتها تنبثق من أنها نتاج حياة حقيقية بكل أهوالها ومسراتها؟

أليست انفعالات كائن مقدام، لم يتردد، ولم ينسحب إلا ليعيد شحن العناصر وتحفيز الإرادات، وقذف السائل الحيوي في الأعضاء التي كادت تترمد؟!

إن مشروعيتها تتأكد من أنها ليست تلقيناً ولا تقليداً ولا تقرباً أو زلفى، وليست تهرباً أو شماتة أو سلبية.. ليست تكلفاً ولا مرافعة مأجورة؛ إنها رؤى، نهدات، لوحات، إشراقات، أمنيات، تكهنات.. منطلقة من الحياة، مبثوثة فيها، منذورة لنبضها الذي يجب أن لا ينوس أو يتلاشى.

× تماهي العلوم في الإبداع؛ وهي ميزة يكاد ينفرد بها أديبنا المبدع؛ فحيدر واحد من أدباء عديدين لديهم تحصيل علمي أو اهتمام بالعلوم المتعددة، اشتهروا في سورية والبلدان العربية الأخرى

البيئة حاضنة الأفكار ومؤثرة في تفاعلها

والعالم: عبد السلام العجيلي، عبد الرحمن منيف، تشيخوف.. أمثلة. وقد استفاد أكثرهم من ذلك بأشكال وأساليب مختلفة: سِيَراً وأحداثاً وتجارب وموضوعات ومفردات..

لكن الأمر لدى حيدر مختلف ومتمايز؛ فقد أدخل الأدب في مختبر العلم، أو نثر العلم في بيدر الأدب، فخرجت طينة تكتنز بجواهر المادتين؛ لا العلم يتفاخر بتخصصه ويتجرد، فيسرق الأضواء ويعكسها مشوشاً الرؤية، فتغيب الخصائص الأخرى، أو تتشوه، ويغدو النص مقالاً بلا روح؛ ولا يتدلع الأدب ويغتر فينفرش بلا سبب أو معنى، وتسود اللغة المقعرة أو السطحية المنفوخة.

فنص حيدر الذي يمتلك ناصية الأُسَين مشحون بمعارف العلم ومبادئه وتحليلاته وتساؤلاته واحتمالاته، ومشبع بالمعاني والخيالات والإشراقات عبر صياغة إبداعية متمكنة ومبتكرة؛ فيبدو النص حيوياً ناهضاً مكتنزاً واثقاً فياضاً، ذا كيان متماسك قابل للعيش في أزمنة مختلفة وبيئات متعددة.

ومن الكلمات الأثيرة للكاتب في هذا المجال: المحلول، المختبر، العضوية، المتعضية، التكوين، الغرين، البدء، الخلق الأول، المصل، الطيف، الطاقة..

* التداخل بين المعيشي والممكن والأسطوري والمتخيل؛ ويدل هذا على مقدرة الكاتب في صهر المواد المتوافرة من الحياة وما خبره منها، مع تلك التي يبتدعها خياله، ويتصورها، ويدخلها في مختبره الإبداعي، ليخرج منها نص عميق مختلف ثرّ إشكالي.

* الاحتفاء بالطبيعة؛ فصولاً وتضاريس وبيئة وظروفاً.. براً وبحراً وكائنات..

ولا يقتصر الأمر على حضور البيئة مكاناً للأحداث، وميداناً للحركة والنظر وممارسة الطقوس الحياتية في الظروف المختلفة؛ بل غدت حاضنة للأفكار، مؤثرة في تفاعلها؛ سواء أكان ذلك في الماضي، أم الحاضر، والمستقبل أيضاً؛ فالبحر للصيد والتأمّل والتذكر والتساؤل، والصحراء والسهوب للتشرد والتأسي والبحث عن الألفة، والجبال والغابات للتخفي وإعادة النظر والتحول والانسحاب أو الكّر من جديد.

القرية للعادات والتقاليد والوقت المطوط، والمدينة للحروب والمواجهات والحوارات والحب والحركة والانفعالات الحدية. ولكل من هذه المواضع عناصرها وثقافتها وكائناتها وظروفها، تلك التي لا يبخل حيدر بإحضارها وتحميلها قدراً من المسؤولية في العمل الأدبي، مستفيداً من خبرته الشخصية، وثقافته، وقدرته على إضفاء الحيوية على الأشياء التي لا تخذله.

* الاحتفاء بالأنوثة؛ فالأنثى هي الشريكة الكاملة للكائن القلق في مختلف حالاته وظروفه وأحلامه وأوهامه. قد تحاول ترشيد هوسه وضبط هذياناته، وقد لا تستطيع الوقوف في وجه مغامراته طويلاً، وقد تتجاوزه أحياناً، فلا تلبث أن تدعوه إلى مغامرات أكثر اندفاعة وخطورة وغموضاً.

والأنوثة في كتابات حيدر الوجه الآخر للذكورة، وقد تتبادلان المواقع؛ فيكملان تشكيل الكائن الذي انفصم منذ زمن عتيق؛ هل هي دورة الحياة تعود من جديد؟! ليس الأمر بعيد التكهن؛ ففي كتابات حيدر ما يشير إلى ذلك، في أكثر من موقع، وأكثر من حالة.

وتتعدد انتماءات الأنثى: من الغجرية البدئية إلى القروية إلى المدينية إلى الإلهة.. وهي بنت البلد، وآسيوية وأفريقية وأوروبية، ومختلطة الأنساب القارية.

إنها معه في المقاومة، وفي الحيادية، وفي الخيبات. في المدينة المنكوبة بالدمار الأهلي والأرصفة الوعرة، ومعه في القرية الموبوءة بالعادات والخرافات والأوهام القديمة والمتجددة؛ ومعه على الشاطئ الشارد تأملاً وطقوس صيد، وفي الكهف المظلم العطن المهجور، والغابة المتكاثفة، والسهوب المتمددة.. معه في كل نزواته وهيجاناته، في الليل والنهار، في الحرب والسلم، في الحب والكره والانتقام..

إنها المعادل الحي للحياة/الموات، وبها ومعها يظل للآتي احتمال تحمّلٍ وأملٌ وانتظار.

* الانشغال الكوني؛ ويظهر ذلك من خلال التصريح حيناً والتلميح أحياناً إلى البدء وتشكل الخلق والغرين الدبق وشقوق الأرض والرعد والمطر، مع التذكير دوماً بإعادة التخلق أو التشكل إمكانيةً وضرورة، لدى المنعطفات المصيرية، كالحروب المدمرة داخلياً وخارجياً، وطغيان التسلط والفجور والفساد والقتل المجاني.

« وتتابع كالي: تحت الشجرة الوارفة جلست مايا الملكة القرفصاء بعد أن حجبها الخدم عن الأنظار بستار خاص، .. وما كادت تنهض حتى كان تحتها طفل تلقته أيدي أربعة من الملائكة في شبكة نسجت خيوطها من الذهب ووقف المولود فجأة وتقدم سبع خطوات، ثم صاح بصوت عذب: أنا سيد هذا العالم. وهذه الحياة آخر حياة لي.

وفي اللحظة نفسها ظهرت اثنتان وثلاثون علامة في السماء والأرض، فحدث زلزال شديد، وانتشر النور في كل مكان، وهطل مطر خفيف على غير ميعاد، فتفتحت براعم الزهور وأكمام الثمر، وانتشرت الروائح الزكية فعمت الأرجاء كلها فاستعاد الأعمى البصر، واسترد الأصم السمع، وعاد الأبكم ينطق ويغني» (غسق الآلهة- قصة غسق الآلهة ص ٩٣)

* الملامح الأسطورية المتعلقة بإمكانيات خارقة لبعض الكائنات، وتحولات ممكنة في ظروف مختلفة، نفسية بالدرجة الأولى، وخلقية أيضاً، مع أمنيات وأحلام تتجاوز الحدود القريبة للكائن وشروط حياته الواقعية إلى أبعد من حياة آنية ومصير منتظر وشروط متفهّمة، إلى هلوسات واستلهامات وتهويمات وهذيانات وحكايا وتهيؤات..

(التحول إلى صرصار- الوعول- قصة من هنا تعبر الحرب ص٥٩)

«.. ثم روى كيف اشتاق ذات مساء إلى امرأة خطفها من مضارب البدو، نام معها فولدت له بنات وبنين تزوجوا وعمروا المكان. ومع الزمن ازدادت السلالة. كانت سلالة غريبة لا ديانة لها، ولا آلهة غير الريح والشمس والمطر والرعد، علمتها تحولات الطبيعة أشياء خارجة عن طقوس البشر المحيطين بها، من الريح أخذت الرسوخ وبناء منازل في الصخر، ومن الشمس تعلمت غرس الأشجار والكشف عن الينابيع، وعلمها المطر كيف تحرث الأرض وتزرعها، وأعطاها الرعد قوة ضاربة تواجه بها الغضب والفوضى والغارات المفاجئة» (الفيضان- قصة الفيضان ص ١٣٠)

* الاستفادة من التراث العربي والعالمي عبر استحضار شخصيات تاريخية بأسمائها وخصائصها الحقيقية، أو الملمح إليها، (أبو ذر الغفاري، الجعد بن درهم، غيلان الدمشقي.. مجموعة الوعول- قصة الميراث ص٢٥، عقبة بن نافع في قصة حالة حصار ص٤٤) وحكايات ومقاطع من سير وكتب مشار إليها، أو مبتكرة متضمنة معاني وأفكاراً ذات أصول تراثية». (المسيح يتبرأ- الوعول- قصة: من هنا تعبر الحرب ص٥٩).

* الجنس في مواجهة الدمار؛ يتكرر فعل الجنس أو تذكُره أو تخيُله في أشد الأوقات حصاراً وقلقاً وخطراً؛ « تقول إحدى النسوة: هل تساءل أحدكم لماذا يتزوج الناس كثيراً في الحرب؟

- ليتداركوا الموت بالشهوة. يقول صديق المرأة.

الرجل الآخر يتحدث عن أمور غريبة كامنة في أعماق هؤلاء الناس الرافضين للحرب عن هروب الجسد من دفقة الألم نحو أوج المسرة، وعن احتفاء العضوية والتألق الروحي لمواجهة هذه الظلمة بنار الجنس.» (غسق الآلهة- قصة غبار الطلع ص١٧).

* قسوة وعنف وشناعة تذكّر بأفلام الرعب، عبارات وصوراً وكلمات. والكاتب لا يتردد في الحديث عن القتلة والطغاة والبرابرة والمتوحشين.. وفظائعهم في مسيرة الحياة المعذبة، سواء أكان ذلك منذ زمن طويل، أم قصير، وفي العصر الراهن أيضاً.

«ورأى الجمهور بيوتاً فيها ناس تتحرك شفاههم بكلمات مبهمة، ثم رأى هؤلاء الناس يتوقفون عن الكلام بغتة ثم يتحشرجون ثم تسقط رؤوسهم فوق صدورهم ويصمتون إلى الأبد. وعرض الغرباء آلات خاصة وضعت خارج البيوت والغرف. كانت هناك أنابيب تمتد إلى داخل البيوت من الجدران أو السقوف وظيفتها امتصاص الأوكسجين من الداخل. كان الذين في الداخل يموتون اختناقاً بعد أن يتلوث الهواء بغاز الفحم الخالي من الأوكسجين.» (الفيضان- قصة البرابرة ص١٦٠).

«وما يزال جسدي مطوحاً تحت مجرات من المصل والوهج والتعرق والبياض والغبار» (الوعول . قصة الطيور الغريبة القادمة مع الفجر ص١٤). «وأرى في المنام أنني أذبحك..» (الوعول- قصة الوعول ص١١١)

* اللغة؛ أقنوم الأقانيم في إبداعات حيدر حيدر، وهي المرج السخي بنباتاته وأندائه وإشعاعاته وأفيائه وكائناته التي لا تسكن ولا تتعب، كعاملات النحل، باحثة عن المفردات والاشتقاقات والصياغات التي تقدم المعنى المرجو برضى وأريحية وزهوّ وجدية وغيرية وانفعال؛ إنها البساط الطائر بالمشروع الإبداعي بكل انتصاراته وانكساراته، النسيج المتشبع بالأفكار والمعارف الحيدرية والمترع بالأحلام الإنسانية، والموشى بالأصداء التي تدوّم وتطوف تاركة المتلقي في حال من التأثر والمتعة والخيبة والأمل والإقدام والإحجام، لا يخرج منها بيسر، ومن قال إنه يود الخروج، أو يستطيع؟!

« الأنثى التي اقتحمت فجر الرجل الوحيد في هذا الشتاء البارد لاح وجهها الباسم بلون الزهر المريمي، المنبثق من فجوات حجارة التلال وأعشابها. كما عاصفة هوجاء صخبت، مالئة فضاء البيت باهتزازات سريالية خلخلت ذرات الهواء. الرجل المباغت، والمستكين قرب أبواب البحر اضطربت عزلته فتشرد الهدوء.» (إغواء- قصة إغواء ص ٤٣).

وتتنوع أساليب القص بين السرد والوصف والحوار، مع التداخل والتواشج، وتتنوع الصيغ والجمل المشحونة بطاقة تخييل عالية، أو باستخدام عادي، وتدخل الحكاية كما يتدخل التناص إيقاعاً أو فكراً أو نصاً، فتتنوع النبرة، وتغتني اللوحة، ويمور النص بالحركة والحيوية والتشظي والانفلات في الأحياز والفضاءات والأمداء غير المحدودة..

ويمكن للمتابع أن يجد لدى حيدر اعتماداً على المعطوفات ليوسع أفق القارئ ويبعد المرامي: « كان المقهورون والمذلون والصامتون والشهداء والمسروقون والسجناء ينشدون أغنية عن الطيور والزنابق والأمطار والرعود والغابات والبحور الخضر.» (الوعول- قصة الطيور الغريبة القادمة مع الفجر ص ١٨). .

وعلى الرغم من أن لديه قاموساً لغوياً زاخراً ومنوعاً من المفردات، فإن بعض الكلمات تبدو أثيرة عنده.

كما يعوّل الكاتب على تكرار الأفكار والعناصر والحالات في أكثر من نص تأكيداً لانشغاله الحميم والقلق، وبرهاناً آخر على أن لديه رسالة/ غاية/ قضية ليست هامشية ولا عابرة؛ بل هي متجذرة في التاريخ الإنساني الذي ينتمي حيدر حيدر إليه بشغف وفاعلية، ومرصودة للزمن القادم، الذي يأمل الكاتب ويرهص ربما بأن فيه الخير والعدل والإنسانية، وهو ما يسعى إليه بكل توقه واحتراقه

* وبعد؛ حين تحاول الكتابة عن كتابات حيدر حيدر يفترض أن ترتقي إلى مستوى إبداعه، أو تقاربه، وليس هذا يسيراً؛ إنها محاولة تطمح إلى ذلك، ولا تدّعيه؛ ويكفينا أجراً شرف المحاولة للاقتراب من لألئ هذا المبدع المميز العزيز الذي يستحق كل احترام وتقدير وتكريم.

حيدر حيدر ذات لقاء عابر ..

بدر إبراهيم أحمد

نشر موقع إيقونات سورية قصة حوار أجراه بدر إبراهيم أحمد مع الروائي الراحل حيدر حيدر، وهو يدل على عمق الروائي وإنسانيته، وتواضعه هل كنتُ أتوقع يوماً أن ألتقي هذا الرمز الأدبي الكبير؟! وهل كنتُ أصدق أنني سأحاور مبدع «وليمة لأعشاب البحر»،«شموس الغجر» و«مرايا النار» ؟!

فجأة، كان هذا الرجل في متناول العين والقلب ..

كنت منذ فترة أعمل على تحقيق أو استفتاء ثقافي عن «جدوى الكتابة» في نهاية القرن العشرين وعلى أعتاب الألفية الثالثة، حيث بات المادي والإلكتروني يسيطر على جُلّ حياتنا. وكان أن برز اسم الكاتب أمامي من ضمن الكتاب الذين يمكن أن يُغنوا الاستفتاء أو التحقيق.

قيل لي إنه يسكن في بصيرة، وإن زيارته ممكنة جداً ..

وكانت الزيارة حلماً.. نزلتُ تحت الجسر، جسر حصين البحر، على طريق طرطوس بانياس واتجهت غرباً نحو البحر. مشيت تقريبا ٥٠٠ متر قبل أن ألتقي رجلاً عابراً:

-أتعرف منزل الكاتب حيدر حيدر؟

قال الرجل: تمشي عشرين متراً ثم تأخذ يمينك، طريق فرعية، تمشي فيها حتى تجد على يسارك بستان ليمون، في نهاية البستان دربٌ صغير،نهاية الدرب تجد بوابة تقودك إلى بيته ...

لا أظن أني شكرت الرجل، فلقد كنت أتوق لدخول ملكوت صاحب «وليمة لأعشاب البحر».

طريقٌ ترابي ضيق.. في مواضع كثيرة منه تحيط به أشجار الشربين ونباتات القصب وقناة للمياه ..

وعندما أصبحت في الدار، نبح كلب مربوط ولم يخرج من المنزل أحد.. واصلت التقدم ..الباب مفتوح ومن خلاله رأيت جداراً ممتلئاً بالكتب، فأدركت أنني وصلت الهدف ..ومع أن نباح الكلب تواصل، لم يخرج أحد ..!

عندما تجاوزت العتبة، رأيت طفلاً صغيراً لم أعرف إن كان صبياً أم بنتاً لوسامته وطول شعره . ما إن رآني الطفل حتى اندفع إلى الداخل وسمعته يكلم أحداً ما ..

بعد لحظات، سيخرج رجل لاتخطئه العين: إنه هو .. صاحب حكايا النورس المهاجر ..بادرت بالسلام فردّ مرحباً. ثم عرّفته بنفسي فرحب بي من جديد ودعاني للجلوس ريثما ينهي إفطاره:

– هل تفطر معي ؟

– صحة وعافية ..

سألت الطفل محاولاً معرفة إن كان صبيا أم بنتا: ما اسمك ؟!

– ورد

ياااه .. إذا هذا هو حفيده ورد الذي أهداه روايته الأخيرة «شموس الغجر»: إلى ورد حيدر، دنغو أفندي، طفل الشمس ووريث التنوير والحرية والأمل».

بعد انتهاء وجبة الإفطار، سيسألني إن كنت أحب أن أشاركه شرب الشاي أم يعدّ لي فنجان قهوة ! وافقت على الشاي.

جلس، وكان قد ارتدى ملابسه الرسمية، إذ كان لحظة وصولي يرتدي «الشورت» على جسد نحيل أسمر خطّ البحر عليه بعض الذكريات ..

رحت أستطلع المكان..غرفة تزدحم بالكتب المرتبة ترتيباً لافتاً يفرض الإعجاب والدهشة ...لوحات وصور شخصية وغيرها ..هدايا وتذكارات ..

بدأنا الحديث عن روايته الأحدث: «شموس الغجر»، عن الارتداد الذي يحدث فيها، عن تحول البطل من العلمانية إلى الدينية وسقوط القيم والمبادئ والانكفاء إلى ماهو غيبي . ثم تحول الحديث إلى روايته «وليمة لأعشاب البحر» والكتابة بشكل عام ...

وحيدر حيدر، أبو مجد، وجدته عكس ما قرأت عنه في حوار مع صحيفة الاتحاد الظبيانية مؤخراً كان قد أجراه الصحفي السوري نبيل الملحم الذي عُرِف ببرنامجه التلفزيوني «شخصية وظلال» ..

فهو غير منعزل في منزله في وطى البحر: «أخرج دائماً إلى المدينة لشراء الحاجات، وإلى المحافظات حيث الأصدقاء، وإلى دمشق حيث ابني الدكتور مجد الذي افتتح دار ورد للنشر ..لكنني منقطع عن النشاط الثقافي من ندوات وأمسيات..هنا بيتي واستراحتي ..هنا كتبي ودفاتري ..أقرأ..أكتب ..أخرج إلى الصيد.. يأتي الأصدقاء فنجلس ونتحدث ونشرب ..يمكن أن نتحدث في كل شئ سوى الكتابة أو الأدب ..»

سألته: نبيل الملحم قال في مقدمة الحوار معك إنك شبه منعزل لا تقرأ سوى الروايات الأجنبية!

ضحك: «نبيل لم يكن مصيباً في كل ماساقه عني .. انظر ..هذه آخر إصدارات المجلات والكتب التي تُنشر ..قد أكون بعيداً نوعاً ما عن الصحافة اليومية.. لكن ابني مجد والأصدقاء يزودونني بكل جديد، كما يرسلون لي الصحف والمجلات التي تتناول كتبي أو تتحدث عنها ..عدم متابعة الصحف يعود لضيق الوقت وليس غير ذلك ..»

وقتٌ ثمين كان يمضي .. عالم من السحر والغنى ماكنت أودّ الخروج منه .. وكاتب يكبر في عينك بعد أن تعرفت عليه وعلى حياته الخاصة وطريقة عيشه البسيطة.

أحيانا، كان يتخلل حديثنا، حديث آخر مع حفيده ورد الذي يطلب شيئاً ما، فينهض الجد الستيني ليلبي طلبه أو ينهره طالباً منه الصمت«نحن نتحدث» أو قد يناوله، عن أحد الرفوف، غليوناً أو مزماراً أو خنجراً يقول عنها إنها هدايا من الأصدقاء. وعندما فاتحته بموضوع الاستفتاء الأدبي، نهض «سأعدّ القهوة» . أثناء ذلك، تشاغلت في معاينة رفوف الكتب المترعة بالقصة والشعر والرواية والتراث .. حول تلك الرفوف صورة له، رسم، أو صور لكتاب من قبيل: جبران، جان جينيه، لينين .. وهناك صور لحيوانات وغيرها ..أجد أيضاً مجلة العربي الكويتية في عدد حديث ..

بعد مناقشة الاستفتاء الذي اكتفيت بتدوين رؤوس أقلام فقط على أن أعيده من الذاكرة فيما بعد، عدت إلى البداية وقلت له: لم أتوقع أن أجداً هنا سيعرفك لو سألت عنك، وأردفت: كما لم أتوقع أن ألتقيك بهاته السهولة!!

أجاب وابتسامة رائعة ترتسم على وجهه:

– الكل يعرفني هنا بـ«الكاتب» ..وكثيرون يعرفونني جيداً.. فلان ابن فلان .. لست في برج عاجي، وكل من يدخل بيتي يخرج منه صديقاً، أنا في الكتابة كاتب وأنت قارئ.. هنا، خارج الورق، نحن لا نختلف، إنسان مقابل إنسان ..

وتترى الأسئلة، والكلام يدفعه الكلام، وإذ تحين المغادرة، تنتابني الحسرة لأنني سأغادر هذا الحلم الذي غدا واقعاً..

عزائي، حسنُ الضيافة وحصولي على رقم تلفونه و« أهلاً وسهلاً بك ..تعال متى شئت»..

جمعنا لقاءٌ ثانٍ بعد أسبوع، لكن الهجمة الظلامية عليه نفس الصيف من قبل جماعة إخوان مصر بخصوص الوليمة جعل عالمه بعيد المنال...

نقش سوري

علي عُقلَة عَرسان

ولد في قرية صيدا من محافظة درعا ودرس فيها. ثم تابع في المعهد العالي للفنون المسرحيّة في القاهرة حيث تخرّج بشهادته عام ١٩٦٣. أوفد إلى فرنسا للدارسة في مجال المسرح فحصل على شهادة دبلوم المسرح في ١٩٦٦. عمل مخرجاً في المسرح القومي التابع لوزارة الثقافة السورية في عام ١٩٦٣،‌ ثم مديراً للمسرح عام ١٩٦٦، فمديراً للمسارح والموسيقا عام ١٩٦٩ فمعاوناً لوزير الثقافة في ١٩٧٦. هو عضو مؤسّس لاتحاد الكتاب العرب، ثم عين رئيساً للاتحاد في ١٩٧٧، وأمين عام للاتحاد العالم للأدباء والكتّاب العرب، ونائب الأمين العام لاتّحاد كتّاب آسيا وإفريقيا. حصل على شهادة دكتوراه في الآداب عام ١٩٩٣. له عدة دواوين شعرية ومؤلفات مسرحية.

جوائزه وتكريمه

١٩٩١: جائزة ابن سينا الدولية.

١٩٩١: منح درع دولة الكويت في احتفال تكريمي عقد في مبنى اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

١٩٩٥: نال درع وشهادة تقدير من إذاعة القدس العربية الفلسطينية.

١٩٩٧: منح درع الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، الأمانة العامة.

٢٠٠١: مُنح درع ملتقى المرأة في سوسة بالجمهورية التونسية، سلمته الدرع وزير الشؤون الاجتماعية.

٢٠٠٣: نال جائزة عويدات في بيروت للإبداع الأدبي.

٢٠٠٤: كرّم في دمشق من الجمهورية الإسلامية في إيران مع السفير أحمد الحسن والدكتور عبد الكريم الأشتر.

٢٠٠٤: كرّم من اتحاد الكتاب التونسيين في تونس ومنح السعفة.

مؤلفاته:

من دواوينه الشعرية:

شاطئ الغربة، ١٩٨٦

تراتيل الغربة، ١٩٩٣

الفلسطينيّات، مسرحيّة شعرية، ١٩٦٨

أور سالم: القدس، ٢٠٠٠

من مسرحياته:

زوار الليل

الشيخ والطريق، ١٩٧١

الغرباء، ١٩٨٢

السجين رقم ٩٥، ١٩٧٤

عراضة الخصوم، ١٩٨٢

أمومة،‌١٩٨٩

سلسلة ذاكرة المسرح السوري: رضا قيصر،‌ ٢٠٠٨

الأقنعة، ١٩٨٢

تحوّلات عاز الناي

وله في النقد الأدبي وغيره:

السياسة والمسرح، ١٩٨٧

الظواهر المسرحيّة عند العرب، ١٩٨١

المسرح العربي منذ مارون النقّاش

دراسات في الثقافة العربية، ١٩٨٨

صخرة الجولان، ١٩٨٢

مشكلات في الثقافة العربية، ١٩٨٩

آراء ومواقف ومقالات، مجلدين، ١٩٩٠

أيام في شرق آسيا، أدب الرحلات، ١٩٩٠

العار والكارثة، مقالات، ١٩٩٠

وقفات مع المسرح العربي

المثقف العربي والمتغيرات، ١٩٩٤

صمود وانهيار، ١٩٩٨-١٩٩٩

الثقافة والمواجه، ٢٠١٦

معرض

التشكيل السوري يتألق

شاركت كل من الفنانات التشكيليات ريم الحايك وروان عودة وزينب علي ورهام الحايك بمعرض فناني أوروبا والبحر المتوسط، الذي يعرض أعمال الفنانين المشاركين بطريقة جوالة في عدة بلدان.

وأوضحت الفنانة ريم الحايك في تصريح لها أنها شاركت بإحدى تجاربها أثناء دراستها الماجستير تمثل مدينة بصرى ومدرجها بتقنية الحفر والطباعة - الشاشة الحريرية، مؤكدة أن سبب اشتراكها باللوحة هو أنها تخص معلماً أثرياً سورياً مهماً.

أما روان عودة فشاركت بلوحتين بتقنية الكولغراف، مستخدمة طريقة تجريدية وباللونين الأسود والأبيض، وفضلت عدم توضيح موضوع اللوحة لأنها بنظرها تترجم نفسها للمشاهد.

وتحدثت الفنانة روان علي عن اللوحتين اللتين شاركت بهما، مبينة أن الأولى بعنوان «يائسون» استخدمت فيها تقنية الحفر بالماء القوي وصبغة الماء، وتناولت تصوير الحالات الإنسانية بمختلف مشاعرها، واللوحة الثانية بعنوان «رحيل» بتقنية حفر بالماء القوي وصبغة الماء وإبرة جافة، صورت فيها مشهد دمار المدن ووداع الناس لبيوتهم نتيجة الحرب.

فيما صنعت رهام الحايك لوحتها التي يمتزج فيها الفن التشكيلي مع روح المخطوطات العربية بحبر الجوز والقماش المصبوغ والرمل.

وكان المعرض الذي سمي باسم (ابن بطوطة البحر المتوسط) قد افتتح بالمدرسة الثانوية العلمية الحكومية في إيطاليا بعد العرض الأول في إحدى الصالات المتخصصة، ونتج عنه مؤتمر ناقش الأعمال بمشاركة أكثر من ٢٠٠ فنان تشكيلي يمثلون دول أوروبا والبحر المتوسط.

ذاكرة

نقولا زيادة .. ودفاتر التاريخ...

وفاء يونس

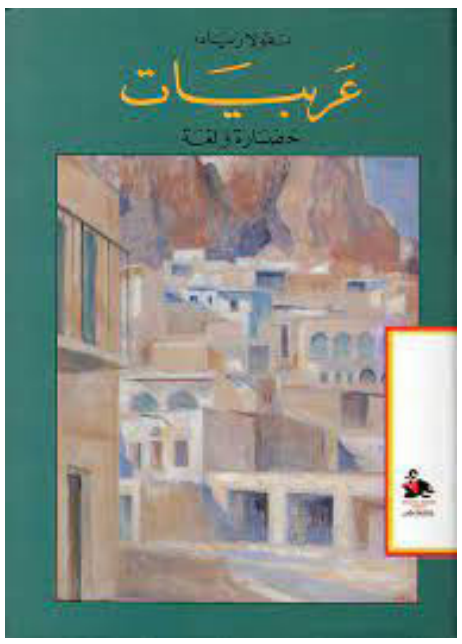

ربما يكون آخر القامات الحقيقية بين المؤرخين العرب الذين لا يزالون على قيد الحياة، عاش المأساة بألوانها وأشكالها، عاشها مأساة أمة ومأساة أسرة، المؤرخ د. نقولا زيادة عزف على أوتار الزمن علماً ومعرفة وعطاء وكتب وصال وجال، يرنو إلى نهاية القرن من الزمن، والذكرة لا تزال وكأنها سيل من المعطيات يتدفق دون أن يسأله صاحبه أن يرفده بجهد د. نقولا زيادة الذي قدم شيئاً من محطات حياته في الكتاب الذي صدر عن مجلة العربي الكويتية وتحت عنوان:

إيقاع على أوتار الزمن هو في العدد ٥٥٨ مجلة العربي ضيف في مساحة الحوار، حوار الأستاذ الناقد جهاد فاضل..

وهل المرور العابر بهذا الحوار يعني أن القارئ لهذه المجلة لم يكمل زاده ولأهمية الحوار يمكن الإشارة إلى بعض المقتطفات منه، لكن وقبل ذلك نعود إلى (إيقاع على أوتار الزمن) ونتوقف عند بعض المحطات في حياته.

-محطات في حياته

يقول زيادة إن الزمن الذي اتحدث عنه هو فترة تمتد إحدى وتسعين سنة وبضعة أشهر تبدأ في الثاني من كانون الأول عام ١٩٠٧م وتمتد إلى اليوم كان الحديث في أيلول ٢٠٠٠ م-

فأنا أبواي من القاهرة (فلسطين، ولكن والدي كان موظفاً في قسم الهندسة في الإدارة العامة لسكة حديد الحجاز التي كان مركزها دمشق ولذلك فأنا مولود في الميدان التحتاني بدمشق في التاريخ المذكور ..

كانت طفولتي حلوة هنيئة في ؟ أب رؤوف وأم رؤوم وصحبة أخت وأخوان أصغر مني سناً..

كانت للأسرة رحلات وسيرانات في أنحاء الغوطة.. أدخلت إلى مدرسة الغرير في الميدان التحتاني، فكان أول معلمي فئة من الرهبان لاتفارقهم (الطبشة) وهي (أداة العقاب) التي لم ينلني منها نصيب ثم بدلنا بيتنا إلى مدرسة إنجيلية كان حصتي فيها معلمات لطيفات أنيسات وفي هاتين المدرستين مع عناية والدي بي، تعلمت مبادئ القراءة الأمر الذي كان له في حياتي المبكرة أثر كبير.

-مأساة الوالد ..

حين دخلت الدولة العثمانية عام ١٩١٤م الحرب العالمية الاولى، جند والده من أجل الخدمة كما جند الآلاف من الشباب وحشر هؤلاء في مواقع مختلفة تمهيداً لنقلهم إلى الجبهة (قناة السويس)،(مرض والده) وكان عمر نقولا (ثماني سنوات) نقل الأب إلى المستشفى وعن هذه الزيارة يقول نقولا : إن الذي عانيته في المستشفيات التي زرتها والمرضى الذين شاهدتهم ما كانوا يتألمون منه من أمراض وجروح فضلاً عن الإهمال والقذارة أمور لا تزال ماثلة في نفسي بعد مرور ما يزيد على ثمانية عقود من السنين ..

وفي مساء أحد الأيام عادت أمي إلى البيت ومعها كيس ألقت به إلى الأرض وقالت (نقولا.. أبوك مات، وهذه ثيابه).

وكان كل ما نملك يومها ليرة عثمانية ذهبية واحدة، كان أول من أعاننا إلى أن يأتي الفرج من الناصرة غبطة البطريرك جريجوريوس حداد بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس .. لما عدنا إلى بيت جدي لأمي في الناصرة تعهد خالي سامي وخالتي صوفيا وكان الاثنان يعملان في وظيفتين لهما راتب محترم بأن يكونا عوناً لأمي، إلا أن الحظ السيئ كان بانتظارنا فقد توفي الاثنان خلال بعض الوقت، ووقع على أمي عبء العناية بأسرة كبيرة.

-ثقافته وتحصيله العلمي

يشير د. زيادة إلى أن أول كتاب قرأه كان (ألف ليلة وليلة) فقد كان هناك جار قريب عنده كتب تكرم بإعارتي ما عنده ومن كتب الإعارة ايضاً (تغريبة بني هلال) و(قصة الملك سيف ين ذي يزن) وبعض أعداد من مجلات قديمة كان يحتفظ بها .

في عام ١٩١٩م دخل مدرسة حكومية في جنين في ١٩٢١ م نجح في امتحان الدخول لدار المعلمين الابتدائية وبعد ثلاث سنوات حصل على شهادته وعمره ١٦ عاماً قبض أول مرتب في عام ١٩٢٤م وكان عن نصف شهر هو عملي الأول في التعليم الذي ظللت فيه أي التعليم حتى سنة ١٩٩١م .

في لندن قضى سنتين من ١٩٤٧إلى ١٩٤٩ م حيث كتب رسالة دكتوراه عن سورية في العصر المملوكي الأول ..

وضع نحو أربعين كتاباً وترجم عن الإنكليزية ولا يزال يكتب في الموضوعات التاريخية (وأنا أتعلم من أخطائي حتى الآن، ولا ضيرعلينا أن نستمر في التطور إذا كنا نريد التقدم).

-وجها لوجه ..

في حواره مع الأستاذ جهاد فاضل يتوقف د . زيادة عند معطيات التاريخ ويضيء من خلال الأسئلة الدقيقة والمتميزة التي وجهها إليه فاضل، يضيء نقاطاً لا بد من الإشارة إليها والعمل على نشر مثل هذه الإضاءات ووصولها إلى المهتمين في أنحاء العالم كله، حول أسفار التوراه يقول د. زيادة : التاريخ يقول إن هذه الأسفار بدأ تدوينها في القرن السابع قبل الميلاد ولم تقبل رسميا إلا في القرن الأول بعد الميلاد، اذاً لدينا شيء ليس مزوراً لكن هذا هو الذي كان موجوداً - سرقوه من شعوب المنطقة - إنما كان اليهود يعتقدون أنه حصتهم وحدهم وقد أثبتت البحوث الأثرية أن القدس لم تصبح مدينة إلا في القرن السابع قبل الميلاد وكل ما كان هناك إلى ذلك الوقت هو مجرد قرية و القرية لا يبنى فيها هيكل..

ويرى د. زيادة أن الصهاينة درسوا الغزوات الصليبية ليستفيدوا من أخطائها فالصليبيون لم يستطيعوا البقاء لأنهم كانوا قليلي العدد والصهاينة يحاولون تجاوز هذه الحالة وإسرائيل ستذوب مع الوقت ولكن ليس عن طريق الاجتثاث بل عن طريق منع التطور، العرب اذاً استطاعوا أن يقوموا بهذا العمل - فهم عندئذ الذين سينقذون البلاد هذه البلاد، لم ينقذها أحد من خارجها لن ينقذها من اليهود إلا أبناؤها، أبناء المنطقة فإذا تخلى الأوروبيون والأميركان في يوم من الأيام عن إسرائيل وكان العرب قد دفعوا بأنفسهم إلى الأمام عندئذ تصبح القضية قضية أقلية يهودية في مجتمع عربي قوي وناهض عندها تنعكس الآية وتزول إسرائيل تزول من الوجود سياسياً وقد يعاود اليهود الهجرة من جديدة كما هاجروا من قبل وهم معتادون كما نعرف على الهجرة..